

لسماء والسماءة

إن سر سمو الجليل الفريد (الصحابية) هو تحررهم من كل سلطان سوى سلطان الله، فهم يعدلون يعدل الله، ويوالون الله ويعادون أعداء الله، ويزنون بميزان الله، وليس عندهم إلا الطمع في رضا الله، والخوف منه أغناهم عن رقابة البشر.

أما حاضرننا فتجد عموم الأمة -إلا من رحم الله- ينتخبون في داجية لا صباح لها، وأنزلوا أنفسهم من الأمم منزلة الأمة من الحرائر.

فلا بد من الأخذ بمقومات النصر، والاستقاء من نبع الوحي، وتطبيق الكتاب والسنة، والتميز والمفاصلة، والتضحية بالدنيا الزائلة من أجل الآخرة الباقية.

﴿ سمو ماضينا وسماءة حاضرننا ﴾

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخريين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المجاهدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ناشري لواء الدين، وعلى من تبعهم من سلف هذه الأمة وخلفها ممن جاهد وبذل ورافق وناصح في كل وقت وحين.

معشر الإخوة والأخوات والبنين: حياكم الله وأحياكم، وأطال أعماركم، وأحسن أعمالكم، وذخراً للأمة أعدكم، تُعلون صروحها، وتضمدون جروحها، وتداوون قرووحها، ولللملة تسمون في سماها، وتحمون حماها، وترمون من رماها.

تحية أنفاس الرياض وشى بها نسيم هدهد والنواضر هجج

فجاءت كأن المسك خالط نفعها لها في أنوف الناشقين تضرع

السماء والسماءة: رمزان لا خفاء.

أيها السُّمَّاءة للسماء: السماء رمز الرفعة والسمو والعلاء، والسماءة رمز الشُّقَّة والسُّموم والهلكة والنتيه والبيداء، على حد قول ابن الصحراء :

وحشمها بطن السماوة قاتظاً وقد أوقدت نار السموم الهواجر

فضرباً معي الليلة في ببداء السماوة بجثاً عن مراقي الشمم والإباء، وكشفاً عن أسرار ومعارج
ومدارج السمو للسما، بعون الله رب الأرض والسما.

بيد أنه قد يطول الحديث.. ذلك أن المريض الذي يئن يأررُ إلى تسلية نفسه بالحديث، والطبيب
مهما كان بارعاً فإن وصفه علمي، والمريض أدري منه بمرضه وألمه، فلعلي أن أقف بكم على
الأسباب، وأرتقي السحاب، وأصفي الحساب، وأميز القشر عن اللباب، بدليل الكتاب، وفعل النبي
والأصحاب، وذوي الألباب.

فإن وفيت فحق ذاك في عنقي وإن أقصر لأنتم أهل إعدار

وشتان بين السماوة والسما!

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.....



حقيقة سماوة حاضرننا

معشر الإخوة: إن تفكيراً بعمق وحق، وإرجاعاً للبصر والبصيرة كَرَّةً بعد أخرى في سماوة واقعنا بعد سمو وسماء ماضينا العريق المنير؛ يجعل البصر يرتد خاسئاً وهو حسير، إذ يرى عموم الأمة دون آحادها اليوم في داجية لا صباح لها يتخبطون ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] ^٨ لا ينقلون إلى الأمام قدماً مقبلين إلا رجعوا إلى الوراء أقداماً مدبرين، أنزلوا أنفسهم من الأمم منزلة الأمة من الحرائر؛ عجزت أن تتسامى لُعلاهن، أو تتحلى بخلأهن، فحصرت همها في إثارة غيرة حرة على حرة، وتسخير نفسها لخدمة ضرة نكاية في ضرة، أشربوا في قلوبهم الذل.. فرضوا الضيم والمهانة، واستحبوا الحياة الدنيا فرضوا بفتاتها في إسفاف وسفالة، نزل الشرف من قلوبهم بدار غريبة فلم يُقم، ونزل الهوان من نفوسهم بدار إقامة فلم يضعن ولم يرم، يحسبون كل صيحة عليهم، ويتوهمون كل حركة من عدوهم شبحاً من الموت يهجم عليهم.

فلو أن برغوثاً على ظهر قملة يكر على الصفيين منهم لوئت

اتخذوا الدين قشوراً بلا لباب، وألفاظاً بلا معانٍ، وهيكلًا بلا روح.. عمدوا إلى روحه فأزهقوها بالتعطيل، وإلى وعيده وزواجه فأرهقوها بالتأويل، وإلى هدايته فموهوها بالتضليل، وإلى وحدته فمزقوها بالطرق والتحل والشيع والتحزب والأباطيل، وإلى البراء من عدو الله فمَيَّوه باسم التسامح والتقريب، نصبوا من الأموات هياكل بما يفتنون، وحوّلها يقتتلون، ولأجلها يتعادون.

كعمل الكفار بالأصنام قد لعب الشيطان بالأحلام

ذهلوا عن أنفسهم، فلم يحفلوا بحاضرهم، ولم يفكروا في مستقبلهم؛ لأنهم زعموا الغيب، والغيب لله، وصدق الله وكذبوا، ما كانت أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحاضر فحسب، وما غرس شجرة الإسلام ليأكل هو وأصحابه ثمارها، بل زرعها للأولين والآخرين.

ولما بلغت الأمة هذه المرتبة الدنية طوقهم عدوهم بأطواق الحديد، فسامهم العذاب الشديد، وأخرجهم من زمرة الأحرار إلى حظيرة العبيد، فأصبحوا غرباء، في ديارهم تعساء، حظهم من الريادة والسيادة والسعادة الحظ الأوكس، وجزاؤهم فيها الجزاء الأبخس، غطّاها سحاب الذلة؛ لأنهم أخطئوا طريق العزة، ظنوها في التقدم المادي والتقني فحسب، فذهبوا وراءها:

فإذا السفينة غارقة في أوحالها ودار ابن لقمان على حالها

نسوا أن سيبلهم للعزة عودتهم إلى الدين، كيف وقد قال رسولهم صلوات الله وسلامه عليه: {إذا
تبايعتم بالعينة، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا يتزعه حتى ترجعوا إلى
دينكم} ^ ففعلوا موجبات ذلهم وخذلانهم:

ما هم بأمة أحمد لا والذي فطر السماء

ما هم بأمة خير خلـ سق الله بدءاً وانتهاء

إن يزرعوا فحصادهم يا حسرتاه كان الهواء

إن يقتلوا فقتيلهم كان المودة والإحاء

ولو استرسل المرء مع خواطره لحشي أن يُفضي به التفكير إلى أن ييأس فيضل في بيداء السماوة،
فيهلك أو يُجنّ فيرفع عنه القلم فيستريح، وما كلاهما مريح، وما عانٍ كمستريح:

بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

[أعلى الصفحة](#)



سمو ماضيينا... وأسرار السمو

ولخشية ذلك كله فإني أنقل نفسي وإياكم إلى سماء القرن الأول؛ لنقف على أسرار سموه للسماء لنقول: هذه هي المراقي فارتق.. هذا هو النموذج لا غيره والمثال... فصلاحه ضربت به الأمثال، وقدمت عليه البراهين، وقام غائبه مقام العيان، وخلدته بطون التواريخ، واعترف به الموافق والمخالف، ولهج به الراضي والساخط، وسجلته الأرض والسماء، فلو نطقت الأرض لأخبرت أنها لم تشهد مذ دحاها الله وطحاها وبرأها أمة أصلب على الحق وأهدى به من أول هذه الأمة، ولم تشهد فئة اتحدت سرائرها وظواهرها على الخير مثل أول هذه الأمة، ولم تشهد مذ مهدها الله أمة وحدت الله فاتحدت قواها على الخير قبل هذه الطبقة الأولى من هذه الأمة.

هذه شهادة الأرض تؤديها صامتة، فيكون صمتها أبلغ في الدلالة من نطق جميع الناطقين، ثم يشرح هذه الشهادة الواقع، ويفسرهما العيان التي لم تحجبه بضعة عشر قرناً من الزمان.

إنها حقائق تاريخية ناطقة ينبغي الوقوف أمامها في كل مكان وزمان.

فقد تنطق الأشياء وهي صوامتٌ وما كل نطق المخبرين كلامٌ

لقد خرجت تلك الدعوة جيلاً في ذلك القرن فريداً مميزاً في تاريخ الإسلام؛ بل في تاريخ البشرية جميعه.. جيلاً فريداً في تصوره.. وشعوره.. وانتمائه.. ووضوحه.. جيلاً اختاره الله لحمل رسالته، ولصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم.. جيلاً جاءه الوحي على وعي، فتأسس على توحيد، وانطلق بعقيدة، وسار على منهج صحيح.

حمل فكراً سامياً لغاية أسمى.. زاده التقوى، وشعاره الجهاد، وحصنه الإيمان، وعدته الصبر، وخلقته القرآن، وقدوته سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

أمنيته الشهادة في سبيل الله؛ ليكون الدين كله لله، وغايته تلك مع الجنة ورضوان الله، والذي لا إله إلا هو لولا النقل الصحيح المتواتر القطعي لقليل:

ذاك طيف من خيال

بل هو الشيء الحال

قد تقولون: مُحال!

ذاك ضرب من خيال

قد تقولون.. ولكني أقول:

إنها تربية السبع الطوال!..

لا محال ...

إنه هدي الكتاب

لا محال ...

فعلى وقع التلاوات تخضّر التلال

لا محال ...

إنهم جيل المصاحف

لا محال ...

إنه جيل المحارب وأساد النبال

إنهم شم الجبال

لا محال ...

والسؤال:

لِمَ لَمْ تُعَدَّ الأمة تخرّج مثل ذلك الطراز!؟

أما إنه قد يوجد أفراد وفتنة من ذلك الطراز على مدى التاريخ؛ لكنه لا يحدث أن تجمّع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد كما وقع في القرن الأول، هذه ظاهرة واضحة ذات مدلول؛ تستحق أن نقف أمامها لعلنا نمتدي إلى السر، كما يقول سيد .

معشر الإخوة: إن قرآن تلك الدعوة في ذلك الجيل لم يزل بين يدينا محفوظاً، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية العملي وسيرته الكريمة بين أيدينا كذلك، لم يغيب سوى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل هذا هو السر؟!

أما إنه لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتمياً لقيام هذه الدعوة وإيتائها ثمراتها ما جعلها الله دعوة للعالمين، وما جعلها آخر رسالة لأهل الأرض أجمعين.

إن الله قد تكفل بحفظ الذكر، وببَيِّن أن هذه الدعوة يمكن أن تقوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تؤتي ثمارها، فاختاره الله سبحانه وتعالى إلى جواره، وأبقى هذا الدين من بعده إلى آخر الزمان؛ وعلى هذا فإن غيبة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة، فما السر إذاً مرة أخرى؟!

هل تغير النبع؟!

هل تغير المنهج الذي تربوا عليه؟!

مهما تقادم جوهر في عتقه فهو الثمين وليس يبرح جوهرًا

إن السر يكمن في أمور:

خذها إليك درة من الدرر من كاتب راز الأمور وخبر

توحيد مصدر التلقي عند الجيل الأول

إن الصحابة رضوان الله عليهم جعلوا القرآن والسنة النبع الوحيد الذي منه يستقون وينهلون، وبه يتكيفون، وفي رياضه يتربون، وعليه يتخرجون، ما نظروا مجرد النظر إلى رواسب الثقافات العالمية التي كانت في ذلك العصر وما قبله، رغم أن بعض هذه الثقافات كانت محيطة بالجزيرة؛ بل كان بعضها يعيش داخل الجزيرة، بل لم ينظروا إلى الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل... وغيرهما، وإنما اقتصروا على كتاب الله وحده، فخلصت نفوسهم لله وحده، واستقام عودهم على منهجه وحده.

مرادهم الإله فلا رياءً وفحجهم الكتاب فلا ارتياباً

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت فيهم هذا القول، ويأطرحهم عليه، ويحذرهم من مصادر التلقي الأخرى، وحاله:

فيا قلب اعص كل هوى سواها ويا نفس سواها لا تطيعي

.....



مصدر التلقي عند عمر بن الخطاب

روى الإمام أحمد في مسنده و الدارمي في سننه -رحمهما الله- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: {أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل عمر يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمعر ويتغير، فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: ثكلتك الثواكل يا بن الخطاب! ألا ترى ما لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! - وفي رواية- أن عبد الله بن زيد قال: أمسخ الله عقلك! ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فقال صلى الله عليه وسلم: أمتهَوَّكون فيها يا بن الخطاب؟! ألم آتكم بها بيضاء نقية؟ والذي نفسي بيده! لو بدا لكم موسى فتبعتموه وتركتموني لضللتكم سواء السبيل، والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني {^.

لقد كان درساً عظيماً بليغاً للصحابة ومن بعدهم، فحواه:

عُد إلى الروضة إن الغيث يهمي في روايتها ويكسوها جمالا



تربية النبي صلى الله عليه وسلم للجيل الأول

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يربي جيلاً خالص القلب والعقل والتطور والشعور.. خالص التكوين من أي مؤثر غير المنهج الإلهي الذي تضمنه القرآن الكريم، كيف وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه: {تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسنتي}^.

ولما اختلطت الينابيع، وشيبت -معشر الإخوة- والتفت الجيل إلى غير ذلك النبع الصافي، انحط وسقط وخار وبار، وصار كالحيوان الأعجم يقع على الجواهر فيدوسها برجله، لا يعلم إلا أنها من جنس ما يُداس؛ لأنها لا تؤكل، فظهرت فئة مزورة لا صلة لها بذلك النبع إلا بما لا كف لها في اسمها ولقبها، فئة ترى أنه لا نجاة للمسلمين إلا بالانفتاح عن ذلك، والانغماس في ثقافة الكافر من غير قيد ولا تحفظ..

تعمل لهذا جاهدة، يُسرُّ المسرُّ منهم كيداً، ويُعلن المعلن منهم ذلك وقاحة.. يتهاشون على وأد ذلك النبع الصافي وتحفيفه، مُجلبين بألسنتهم وأقلامهم، أُتخِموا من تلك الينابيع، ثم شرعوا يتقيئونها في أذهان الجيل؛ بحجة التطوير والرقي والسمو زعموا! تعرف ذلك منهم في لحن القول، وفي مظهر العمل، وفي إدارة الكلام، يتخلل أحدهم تخلل الباقرة، تعرفهم في اللفتات العامة، تلمحهم في أسباب معيشتهم الشخصية؛ لكنهم يتناقضون ويتهافتون، فيبتدون من حيث انتهى سادتهم أصحاب الينابيع المختلطة النتنة.

سادتهم يرون أن اللعب إنما يجلو بعد الجلد، وأن القشور إنما يُلتفت إليها بعد تحصيل اللباب، وأن الكماليات تأتي بعد الضروريات، وأن الوقت رأس مال لا يجوز تبديده في غير ما ينفع؛ لكن هذه الفئة البائسة تفعل عكس ذلك كله، وتختصر الطريق إلى اللهو لترضي شهواتها، وإلى الكماليات؛ لأن لها بريقاً هو حظ العين، وإن لم يكن للعقل منه شيء.

عصارة رأيهم في علاج حالة المسلمين تُترجم في جملة واحدة هي: أن النجاة في الغرق!

فئة تلبس باسم الإسلام، وتأكل الخبز باسمه؛ لكنها لا تعمل ما يرضيه، ولا تبني ما يعليه.. ترفع العقيرة باسمه فتفضحها رطانة الأنباط، وتربط نفسها معه بمثل خيط العنكبوت فينحل الرباط، فجاءت أفكارهم فاسدة كأنتن من جيفة هدهد ميت كُفن في جورب مسافر أبحر في شدة القيظ لم يمسه الماء أشهراً، بل أنتن من حلتيت، وأثقل من كبريت، وأهدى إلى الضلال من دليل خريّت.

يجرون الذبول على المخازي وقد ملئت من الغش الجيوب

انسلخوا من هويتهم، ولم يندمجوا في حضارة سادتهم المادية، فصاروا كالمراة المعلقة، لا مزوجة ولا مطلقة!

فَتَبًّا وَسُحْقًا وَهَلَاكًا وَبُعْدًا فِي بِيْدَاءِ السَّمَاوَةِ، أَجْمَعُوا أَمْرَكُم ثَمِ انْتَوَا صَفًّا، فَمَا أَنْتُمْ بِبَالِغِينَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا يَبْلُغُهُ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَغْطِيَ عَلَى الشَّمْسِ بِكُمِّهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ وِرَاءِ كَمِهِ أَرْضَ اللَّهِ الْوَاسِعَةَ.

[أعلى الصفحة](#)

سماوة الجيل الحاضر.. ومصدر التلقي

معشر الإخوة والبنين: ولما التفتت وسائل التوجيه والتربية في الأمة إلى غير ذلك النبع الصافي ضاعت هويتها، فصارت كمن ينقش شوكة بشوكة، فتتكسر الشوكة التي استخدمت لإزالة تلك الشوكة، فتجتمع شوكة بشوكة - كما قيل -

إنك لتسمع من يقول ببلاهة وغباء وبلادة لمن يدعو إلى العودة إلى ذلك النبع الصافي.. إلى الوحي: أنتم خياليون، تعتمدون على الماضي، وتتكلمون على الموتى، يستهزئ في معرض النصح، ولا ندري متى صار إبليس مذكراً!!

ومن الرزية عاهرٌ مُتَوَهَّمٌ في الناسكين وناسكٌ في العهر

يريد أن ننسى ماضينا، حتى إذا استيقظنا من تنويمه لم نجد ماضياً نبني عليه حاضرنا، فاندمجنا في حاضره المير، خاب وخسر وعُرِّي وهُرِّي، وقُطِعَ وفُرِّي، وأُحْرِقَ وذُرِّي، تطوع لهذا العمل أم كُرِّي.

يا هر لو قال ليث الغاب قولكم لا استنكف الفار إن قالوا له أسدٌ

فقبح وفدهم من وفد قوم ولا لُقوا التحية والسلاما

أفرزت هذه لنا جيلاً على درجة من الضعف الخُلقي والعقلي، يعتقد في قرارة نفسه أنه خلق خلقة الأرنب، وخلق عدوه المفتون به خلقة الأسد، وجف القلم، ولا تبديل لخلق الله:

إذا صَوَّت العصفور طار فؤادُه وليث حديد الناب عند السرائد

يبيع دينه بعرض من الدنيا.. طلوع الشمس عنده ليل.. يلعن الشيطان ويتبع خطواته..

أقواله ألفاظ زور مالها معنى وصوت كالطبول بجوفه

ما عنده إلا البلادة والقماءة والسفاهة والخنا والعجرفة

ولا عجب! فقد جاءتة وسائل التوجيه بالكفن وهو في ثياب العرس، وعرضت عليه النوائح في موكب الفرح، وأرادت علاجه من الفقر فعالجته بالفقر والجهل ومعه الذل، وحاولت علاجه من الحمى فداوته بالطاعون.. قيده بحديد بعد أن قصت ريشه، ثم قالت له: انشد وغرد وأنى له!؟!

ما حيلة العصفور قصوا ريشه ورموه في قفص وقالوا غرد!

إنما تطرب أذن حرة إنما يسعد قلب مطمئن

معشر الإخوة: ذلك الجيل استقى من النبع الصافي وحده، فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد.. إنه السماء.

وهذا الجيل استقى من ينابيع مختلطة آسنة، فهلك في بيداء السماوة، وكلَّ يجني عواقب ما زرع.

وشتان ما بين السماء والسماوة!

هذه هي الحقيقة، فلا تلبسها ثوب زور، فلا أبطل من الباطل إلا السكوت عليه.

صرح ابن فالحير في التصريح قد تبرأ العلة بالتشريح

.....



العَمَلُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةُ عِنْدَ الْجِيلِ الْأَوَّلِ

ثانياً: أن ذلكم الجيل قد جعل القرآن الكريم والسنة منهج تلقى للتنفيذ والعمل والتطبيق، لا منهج دراسة ومنتعة، كما هو حال كثير من الأجيال التي خلفت ذلك الجيل الفريد.

وما السيف من غير أبطاله! وما العين من غير إنسانها!

إن أولئك لم يكونوا يقرءون القرآن لقصد الثقافة والاطلاع وزيادة الحصيلة الفقهية فحسب! بل كان الواحد منهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن المجتمع الذي يعيش فيه وشأن الحياة التي يحياها.. يتلقى ذلك كله ليعمل به فور سماعه وحاله:

أنا بالله عزيز لا بعزى أو مناة

معي القرآن أتلو ه فيحيي لي مواتي

استبانت غاييتي من آية في الذاريات

فتح هذا الشعور لهم من القرآن آفاقاً لم تكن لتُفتح لهم بغيره، ويسر لهم العمل، وخفف عنهم ثقل الأعباء والتكاليف، حوّل مسار حياتهم إلى الاتجاه الصحيح، فحالمهم:

دوى القران أيا نفوس فأوَّبي شوقاً إلى خُضُر الجنان وردددي

ولو أنهم قصدوا القرآن بشعور البحث والدراسة والاطلاع والثقافة ما كان لهم ما كان:

إن المخالب في يدي ليث الوغى قضب وفي يد غيره أظفارُ

.....



تطبيق الكتاب والسنة عند السعديين

لما تحزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالح قادة المشركين على ثلث ثمار المدينة ويرجعوا، كل ذلك رفقاً بأصحابه، فاستشار السعديين رضي الله عنهما، فقالا في غاية الاستسلام لله، والأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا رسول الله! أمر أمرك الله لا بد من العمل به فسمعاً وطاعة لله؟ أم أمر تحبه يا رسول الله! فما تحبه مقدم على كل شيء؟ أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم؛ لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله! لقد كنا وهؤلاء على الشرك بالله، والله ما يطمعون ثمرة من ثمار المدينة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا به وبك نعطيهم أموالنا؟! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين} .. ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢] .^١

هذا البيان فقل لمن قد ضل دون نقيضه

صمتاً فذا أسد الكلام فما طنينٌ بعوضه!

أعلى الصفحة



العمل بالكتاب والسنة عند الصديق

وها هو **الصديق** رضي الله عنه وأرضاه يقول: **[[لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت من أمره شيئاً أن أزيغ]]** ^ فليخدر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبيهم فتنة أو يُصيبيهم عذابٌ أليمٌ ﴿ [النور: ٦٣] ^.

إنه **الصديق** اتخذ الله معبوده، ورسول الله صلى الله عليه وسلم دليلاً وإمامه، فرجح إيمانه.

فحفت به العلياء من كل جانبٍ كما حف أرجاء العيون المحاجرُ

لما أشار بعض المسلمين على **أبي بكر** رضي الله عنه بألا يبعث جيش **أسامة** لاحتياجه إليه، قال: **[[والله لو أن الطير تخطفني، وأن السباع من حول المدينة، وأن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين؛ ما رددتُ جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لو لم يبق في القرى غيري لأنفذته، أفأطيعه حياً وأعصيه ميتاً!]]** ^ فأنفذه.

.....فانقاد كرهاً من أبي واستكبرا

ثم أعلنها حرباً على المرتدين، فقبل له: **[[إنهم يقولون: لا إله إلا الله، قال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً أو عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه]]** ^ فنصر الله به دين الله:

قاد السفينَ بجرأة ومهارة كالطود نحو مسيرة لا تُهزَمُ

وارتدت العرب الغلاظ فأشفقتُ هم الرجال فصاح: هل من يفهم؟

والله لو منعوا عقلاً نويقةً أدوه نحو المصطفى لن يسلموا

ومضى **أبو بكر** لغايته إلى أن أخضع المرتد وهو مرغمٌ

هذا هو الإسلام في عليائه مثلٌ وأعلامٌ ودينٌ قيمٌ

ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، وتلك سهولة بالدعوى واللسان؛ لكنها صعبة عند التحقيق والامتحان.

الرضا - معشر الإخوة -: كمال الانقياد والاستسلام لأوامر الله ونواهيه، ولو خالف المرء شيخه وطائفته ومذهبه وهوى نفسه.

مستمسكاً بعرى العقيدة تابعاً ولغير شرع الله لا يستسلم

لا يوقف تنفيذ قول الأوامر على قول شيخه أو طائفته؛ فإن أذنوا نفذ وقبل وإلا أعرض ولم ينفذ، وفوض الأمر لهم، والله لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بهذه الحال. كما قال ابن القيم رحمه الله.

والحق مثل الشمس يجمل ضوءه للمبصرين ولا يروق لأرمد

ووالله ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائر

معشر الإخوة: ذلك الجيل أسلم واستسلم وانقاد لحكم الله بلا خيار: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ^٨.

وبلا تنطع في البحث عن الحكمة والعلة؛ لأن ذلك ينافي التسليم والانقياد ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ^٨.

وبلا حرج في النفس عند تطبيق النص الشرعي: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ^٨.

شعارهم: (بم أمر ربنا؟) لا (لم أمر ربنا؟) فكانوا السماء، فاسلك طريقهم، فلئن سلكتها لقد سبقت سبقاً بعيداً إلى السمو والسماء، ولئن أخذت يميناً أو شمالاً لقد ضللت ضلالاً بعيداً، وهلكت في البيداء، وشتان ما بين السماوة والسماء!



تطبيق الكتاب والسنة عند نساء الصحابة

تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه أبو داود رحمه الله: { إن لنساء قريش فضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتريل منهن، لما نزل قول الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]^ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فما منهن امرأة إلا قامت إلى مُرطها فاعتجرت به وغطت رأسها؛ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتاب { }^.

فمن لم يكن حسنهما في الحجاب فسخرية عدّها في الحسان

يا رب أنتى لها دين لها أدب فافت رجالاً بلا عزم ولا أدب

ويختلط الرجال والنساء في الطرق عند الخروج من المسجد، فيقول صلى الله عليه وسلم كما ثبت في سنن أبي داود: {استأخرون.. عليكن بحافات الطريق}^ فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من شدة لصوقها به.

معشر الإخوة والأخوات: هذه شامة تهدى لمن بهرتم مدينة الغرب، فصنعت لهم الصنم، وألهمت عن جلال الحرم، فلم يبق عندهم قيس يحن لليلى بين الشعاب، بل صار يتمنى أن يراها بلا حجاب، بل يشهد جاهلها عارية بلا ثياب، لتصبح وتمسي في تباب، واشتبهت عندها الحمام والصقور، والغراب بالقراب، و اليافع بالكعاب.

كأنه زَبْدٌ والبحر يقذفه والشط يأنفه والحل والحرم

إنها -يا فتاة الإسلام- ليست مسألة حجاب فقط، إنها عقيدة وشريعة.. إنها استسلام وتعظيم وحب لله.. إنها مسألة واحدة: أن تكوني أو لا تكوني.



تطبيق السنة عند ابن رواحة

يُقبل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فسمعه يوجه الأمر للواقفين: {اجلسوا، فجلس مكانه خارج المسجد، مستسلماً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم حكمة ذلك الأمر، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته وعلم بذلك، فقال: زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله}^.

إن للإيمان ناس كالأسد فتشبهه إن من يؤمن يسد

لما وُجّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، صلى معه العصر رجل، ثم مر على قوم من الأنصار يصلون إلى [بيت المقدس](#)، فقال: [أشهد أني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وُجّه نحو الكعبة] ^ وهم ركوعٌ فانحرفوا، ما راجعوا وما ترددوا، وما رءوسهم رفعوا حتى امتثلوا، على مثلهم ينطبق قول الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]^ .

وما يستوي الفتن فيه الغبار وإن أشبه الكحل الأكل



أبو طلحة وتطبيقه لكتاب الله

وفي صحيح البخاري : أنه لما نزل قول الله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ^٨ قام أبو طلحة رضي الله عنه، فقال: {يا رسول الله! إن أحب أموالي إلي ببرحاء، وإنما صدقة أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: يخ بخ.. ذاك مال رابح.. ذاك مال رابح! قد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال: أفعل يا رسول الله { ^٨ وحاله:

نفسى الفداء ثم أمي وأبي لصاحب المعراج أحمد النبي

تعودوا هاك، ولم يتعودوا هات، ولكل امرئ ما تعود.

عزفت أنفسهم عن قول: لا فهي لا تعرف إلا هي لك

يا حي يا قيوم فاجمعنا بهم في الخلد إنا لم نحد عن حبهم

في أواخر حياته عكف على القرآن، وبينما هو يقرأ في (براءة) قول الله: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] ^٨ قال لأبنائه: [[جهزوني! قالوا: نحن نغزو عنك قد عذرك الله، قال: أي بني! والله ما أرى إلا أن الله استنفرنا شيوعاً وشباناً.. فجهزوني]] ^٨ .

يشبه الرعد إذا الرعد رجف يشبه البرق إذا البرق خطف

جهزوه وغزا في البحر ومات فيه، فلم يجدوا له جزيرة ليدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام أو تسعة، لم يتغير رضي الله عنه وأرضاه.

لو كان هذا الدهر شخصاً ناطقاً أتني عليه بنثره وقصيده

أو كان ليلاً كان ليلة قدره أو كان يوماً كان يومي عيده

إيه إيه!

علم القوم نهوضاً للسماء فشعار القوم كل واشرب ونم

إنما هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما سواهما حلم.

يا مفي العمر في التفتيش عن حلم لو كان يُدرِكُ ما كان اسمه الحلما

معشر الإخوة! خير الناس ذلك القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يلوهم.

هم الرجال وقد جاءوا على قدر هم الذين إذا ما عاهدوا صدقوا

أعلى الصفحة



تطبيق السنة عند الشافعي وأحمد

سأل الإمام **الشافعي** وهو **بمصر** رجلاً عن مسألة، فأفتاه بقول النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ فارتعد الإمام **الشافعي**، واصفر لونه، وقال: رأيت في وسطي زناراً؟! رأيتني خرجت من كنيسة؟! ويحك! أي أرض تغلني، وأي سماء تظلي إن رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم أقل به؟! نعم! أقول به وعلى الرأس والعينين، متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ولم آخذ به، فأشهدكم -أيها الناس- أن عقلي قد ذهب... حاله: والله يميناً براً... لو تبرجت الآراء في بقللها، وتظامنت لي الجبال بقللها، لتفتني عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم إلى رأي غيره لما رأيت لي عنه عديلاً، ولا اتخذت به بديلاً.

إذا رأيت الهوى في أمه حكماً فحكم هنالك أن العقل قد ذهباً

أخي:

وما أخذو لك الأمثال إلا لتحدو وإن حدوت على مثالي

يخفي شيخ **أهل السنة** وإمام هذه الأمة **أحمد بن حنبل** -عليه رحمة الله- في **المحنة عند ابن هانئ** ثلاثة أيام -أيام **الواثق** - ثم قال **لابن هانئ** بعد ثلاثة أيام: اطلب لي موضعاً حتى أتحول إليه، فقال **ابن هانئ**: لا آمن عليك يا **أبا عبد الله**، قال: افعل إن فعلت أفدتك، قال **ابن هانئ**: فطلبت له موضعاً، فلما خرج قلت له: الفائدة يا إمام، قال: لقد اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في **الغار** ثلاثة أيام ثم تحول، وليس ينبغي أن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخاء ويترك في الشدة:

فيرحم الرحمن ذلك العلمُ الزاهد العابد قمة القمم

وفارس المعقول والمنقولِ المقتفي لسنة الرسولِ

ونشهد الله على محبته جَمَعنا الله معاً في جنته

هذا هو النهج الذي سما بأولئك.. إنه التلقي للتنفيذ والعمل



تطبيق الوحي عند الأجيال المتأخرة

ولما أخذت الأجيال المتأخرة الوحي للدراسة والمتعة خرج لنا هذا الجيل الهالك في ببداء السماوة في مجمله:

لكل جماعة فيهم إمامٌ ولكن الجميع بلا إمامٍ

ليسوا بأحياء ولكنهم تسمعُ من أفواههم أحرفُ

وشتان ما بين السماوة والسما!

أيها الجيل: ليس بعد نبينا نبي، ولا بعد كتابنا كتاب، ولا بعد أمتنا أمة، الحلال بيّن، والحرام بيّن، لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وذكر لنا منه علماً ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤] ^ فاقصد البحر واخلّ القنوات.

وإذا أتى فمر الله بطل فمر معقلٍ..

وفي طلعة الشمس ما يغنيك عن زُحلٍ

فاستذكرن آثارك الخوالدا ومجذك الفذ الصريح التالدا

واقتبس الأصول منه والسننُ ولتسمون بما الهضاب والفننُ

وكن أخي في الرأي والإعدادٍ من عصابة الزبير و المقدادِ

وشتان ما بين السماء والسماء!..!

[أعلى الصفحة](#)

﴿ صدق التميز والمفاصلة مع الكفر وأهله عند الجيل الأول ﴾

فإن عبودية الله لا تسمح بموالاته أي عدو لله: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] .^٨

لقد تميز جيل الصحابة رضي الله عنهم عن المجتمع الجاهلي تميزاً واضحاً في كل شيء؛ ظاهراً وباطناً كما يقول سيد .

لقد كان الرجل حين يدخل في الإسلام يخلع على عتبه كل ماضيه في الجاهلية، ويبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته الجاهلية، ويقف من كل ما عهده في جاهليته موقف الحذر المتخوف الهائب المستريب.

متيقظاً في كل جارحة له مخصوصة قلباً وعيناً تنظرُ

قد عاش عزلة شعورية كاملة بين ماضيه في جاهليته وغوايته، وحاضره في إسلامه وهدايته.. عزلة شعورية في صلواته وروابطه الاجتماعية، حتى وهو يتعامل معهم في عالم التجارة اليومي.. الخلاع من البيئة الجاهلية وعرفها وتصوراتها، وعاداتها وتقاليدها، وانضمامه إلى المجتمع الإسلامي في ولائه وطاعته وتبعيته، في تخفف وانسلاخ من ضغط العادة والتقليد والتصوير والقيم السائدة البائدة، فكان ذلك الجيل المتميز، حاله:

من كان منا فإننا منه ومن شدُّ رُدًّا

ليس الفتى من توارى إن الفتى من تصدَّى

ومن تسربل عزاً لم يستر الذلُّ بُرداً

.....



مفاصلة عمر الفاروق للكفر وأهله

لما أسلم عمر رضي الله عنه وأرضاه قال المشركون: **[[صبات، فقال عمر : كذبتم! ولكني أسلمت وصدقت، فثاروا إليه، فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وأعيبى من التعب فقعد، فقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم! أحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا]]** ^، وحاله: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود: ٥٤-٥٥]^.

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم أنا لا نجحكم ولا نلومكم ألا تحبونا

كل له نية في بغض صاحبه بالله نبغضكم دوماً وتقلونا

الله أكبر! ما كان بين إسلامه رضي الله عنه وبين أن قاتلهم وقتلوه، وقال: **[[افعلوا ما بدا لكم]]** ^ إلا سويغات عديدة، وحاله:

إذا كان قلبي لا يغار لدينه فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه

إنه التميز والمفاصلة الحاسمة مع الباطل وأهله، ورفض الالتقاء في منتصف الطريق.

إنه الفاروق الذي جاءه أبو سفيان من أشرف قومه ليشفع له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شد عقد الحديبية، فقال له ببراء من أعداء الله: **[[أنا أشفع لكم؟! والله الذي لا إله إلا هو لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به]]** ^ حاله: كان العيش معهم والشفاعة لهم ممكنة.

ولكنهم ركبوا مسلماً يجيد عن الجسد المشرق

وقد ولي الأمر منهم رجال يخالف منطقهم منطقي

نأوا عن هدى الله في فتحهم وساروا وسرت فلم نلتق

إنه على بصيرة من دينه.. واثق بمنهجه.. موقن برسالته.. لو شك الناس -جميعاً- في الحق ما شك فيه؛ لأنه يفترض أنه خلق وحده، وكلف بالحق وحده، وسيحاسب عليه وحده.

وعلى مقادير الرجال فعالمهم قطع المهند تابعٌ لحديده

[أعلى الصفحة](#)



ثمامة بن أثال ومفاصلته للكفر وأهله

أخرج الشيخان {أن ثمامة سيد أهل اليمامة وقع في الأسر ورُبط في سارية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحسن النبي صلى الله عليه وسلم إيساره، ثم قال: أطلقوا ثمامة، فرغب في الإسلام، وتغيرت الصورة القائمة التي كان يحملها عن الإسلام إلى صورة مشرقة استنارت بها بصيرته، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد وشهد الشهادتين، ثم قال: يا رسول الله! والله ما كان على وجه الأرض وجه ولا دين ولا بلد أبغض عندي من وجهك ودينك وبلدك، فقد أصبحت أحب الوجوه كلها، والدين كله، والبلاد كلها إلي، يا رسول الله! إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فما ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر}^.

انجلت الرغوة عن اللبن الصريح.. ولا يصح إلا الصحيح، محيت ألوان الغشاوة التي كانت مهيمنة على قلبه، فأعلن بدء تاريخ جديد يحو به آثار ما سلف، ويتميز به ويفاصل في عزة وأنف.

رُوي أنه قدم مكة فلبى، فأخذته قريش، وقالوا: [لقد اجترأت علينا.. والله لولا ما بيننا وبينك لقتلناك، أصبوت؟! قال: ما صبوت ولكني أسلمت لله، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم]^. حاله:

ولقد وجدت ولاء قوم سبةً فاجعل ولاءك للعزيز الأكرم

لم يكن بائع كلام، ولا مكثر أوهام، قام بتنفيذ التهديد، ومنع عنهم الحنطة حتى اضطروا خاضعين إلى أن يكتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ متوسلين قائلين: [إنك تأمر بصلة الرحم، وقد

قطعت أرحامنا.. قتلت آباءنا بالسيف وأبناءنا بالجوع]][^] فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمح لهم بحمل الحنطة إلى مكة ، فامتلأ وفعل، كيف ورسول الله قد أمر.

ولو تقطع جذع عن منابته ماتت على غصنها تلك العناقيدُ

مفاصلة حاسمة، وفكر نزيه، وتميز صريح، وهدى صحيح، خاب من قال فلم يفعل، فما يفلح القائل حتى يفعل.

إنه التميز الذي جعل من ذلك الشاعر الذي كان يستعدي على المسلمين، ويسمهم بالسفه وسوء الاختيار قبل إسلامه، يستعلي على تلك الكلمات والموروثات التي كان يفاخر بها؛ قيل له بعد إسلامه: **]]أنشدنا من شعرك؟ فقال: لقد أبدلني الله من الشعر الزهراوين: البقرة وآل عمران، لا أستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير]][^] تميز محسوس، وتحول ملموس، ولا يكابر في المحسوس إلا محسوس..**

قد فاتته أن الهداية بلسمٌ ومذاق طعم الشهد لن يتغيرا

[أعلى الصفحة](#)



التميز والمفاصلة عند الجيل الحاضر

معشر الإخوة! ولما حاد هذا الجيل عن تلك المفاصلة والعزلة، والتميز والترفع على مبادئ ومظاهر الجاهلية، تلوث وتأثر بقدر حيدته عن ذلك النهج، فمستقل ومستكثر، فلو نظرت إلى مدن الجيل وقراه من مرقب عال، وسبّرت حاله في مجمله؛ لم تميز بينه وبين مجتمع المغضوب عليهم والضالين إلا في بعض المظاهر والشعارات والآثار واللوحات.. هت وراء المادة في غير اقتصاد.. اكتساب من غير احتساب.. سهر في غير طاعة.. عمل بغير نية.. تجارة في هوى عن ذكر الله.. ولاء لعدو الله.. حرفة في جهل بدين الله.. وظيفة في الإخلاص لغير الله.. أحكام في مشاققة الله.. شغل في ضلالة.. قعود في بطالة.. حياة في غفلة وجهالة وشتات وفرقة. أمة لمن تميز.

فهي والأحداث تستهدفها تعشق الله وهوى الطربا

أمة قد فت في ساعدها بغضها الأهل وحب العُربا

أمي من بعد طول الـ نوم صارت غفلويه

صدقت كل خداعٍ من غوي وغوية

واستكانت لخداع الذُّ تب من غير رويه

نزلت من حصنها العا لي إلى أرض دنيه

لترى ما لدى النا صح من دنيا هنيه

ثم جاء الذئب فانقـ ضَ بأنياب قوية

كيف ينقض عليها؟ كيف يرميها ضحيه؟

وكتاب الله يهديـ ها ألا هيا إِلِيّه

كيف تسمي بجبيث الـ مكر لقمات هنيه

فرأى تقسيم أوصا ل لها في الجاهليه

ورمى أقوامها الكُثـ ر بدءا الفوضويه

وبأفكار زُيوفٍ محدثات زخرفيه

بقي الحصن ولا حرّ اس يجمون الرعيه

ضحك الباغي عليها بأخاديع ذكيه

فاستجابت بعباء عمل الشاة الضحيه

ساقها الجزار للذ بح إلى أرض قصيه

وقف الباغي ينادي الـ قوم هل ثم بقيه؟

سوف لا أترككم إلّا شقياً أو شقيه

هذه روح القضية هل سنصحوا للبيه؟

بِمَ نصحوا؟

بكتاب الله والسُنـ سنّة والأيدي القويه

بولاءٍ وبراءٍ ومبادٍ عقديه

وجيوش تمزم الباغي وتسقيه المنيه

الصابرون...

إنه الوقوف والصمود بوجه المجتمع المخالف، والمنطق السائد، والأفكار والتصورات، والانحرافات والتزوات، والواقف قد يشعر بالوهن ما لم يأوِ إلى ربه ومولاه..

واللهُ لن يترك المؤمن وحيداً حين يعلم صدقه يواجه الضغط، وينوء بالثقل، ويهزه الوهن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]^.

إن أعداء الله ومبادئهم كذوات السموم؛ نحن معها على افتراق وبراء وعداء حتى يدخلوا في ديننا.

هل محتتم طيبة من حية؟! أو لمستم رقة من عقرب؟!

إننا حين نسايرها ولو خطوة واحدة فإننا نفقد الطريق إلى العلياء، ونتيه في بيداء السماوة أذلاء، وحين نتميز ونفاصل ولا نلتقي إلا على نبع الوحي الصافي نكون بحق أجلاء الرفعة والعلاء، وأهل العطاء والسمو للسماء.

وشتان ما بين السماوة والسماء!..

[أعلى الصفحة](#)

معرفة المنهج الصحيح لمتزلة الدنيا من الآخرة عند الجيل الأول

علموا أن لذة الآخرة أعظم وأدوم وألمها كذلك، ولذة الدنيا أصغر وأحق وألمها كذلك، فتركوا أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتملوا أيسر الألمين لدفع أعلاهما.. حسموا في قلوبهم كل أرجحة وجلجة بين قيم الدنيا والآخرة.. خلصوا قلوبهم من وشيجة غريبة تحول بينهم وبين التجرد لله، والخلوص له وحده دون ما سواه، وحال أحدهم:

بما في فؤادي ييوح الفمُ ويجهل غير الذي أعلمُ



حقيقة الدنيا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم هن من البشر، وهن مشاعر البشر على فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوة.. لما رأين السعة والرخاء بما أفاء الله على رسوله وعلى المؤمنين؛ راجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر النفقة، فلم يستقبل هذا الأمر بالرضا؛ لأنه كان يريد أن تظل حياته وحياته من يتصلون به على أفق سامٍ وضيءٍ، مبرئاً من كل ظل للدنيا وأوشابها، لا حرمة السعة؛ ولكن للاستعلاء على جواذب الأرض الرخيصة.

يشقى الحريص أبداً بحرصه لو شرب الأثمار طراً ما ارتوى

لو ابتنى فوق الثريا سكناً هوى به الحرص إلى حوف الثرى

احتجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: طلق نساءه حين اعتزلهن، وأنزل الله آية التخيير، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَاً حَسْبًا جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] بدأ صلوات الله وسلامه عليه بأحب نسائه إليه عائشة ليعلم أن محبة الله فوق كل محبة، فتلا عليها الآية، وقال: {لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، فقالت: أفيك أستأمر أبوي يا رسول الله؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة} فما عرض على امرأة غيرها من نسائه إلا اختارت الله ورسوله والدار الآخرة.

تالله ما عقل امرؤ قد باع ما يبقى بما هو مضمحل فان

ليس من يجعل العقيدة لهجاً كالذي ينتمي إليها شعاعاً

هذا هو الميزان الدقيق في نفوس الأصحاب، استمدوه من كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاشوه في واقع حياتهم، فحق لهم أن يسودوا ويقودوا.

فيوماً على نجد وغارات أهله ويوماً بأرض ذات شتت وعرعري

صح عند مسلم عن جابر رضي الله عنه {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس حوله، فوجد جدياً أسك ميتاً، فتناوله بأصل أذنه، ثم قال: أيكم يجب أن يكون له هذا بدرهم؟ فقالوا: يا رسول الله! ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ والله لو كان حياً لكان عيباً فيه أنه أسك فكيف وهو ميت؟! فقال صلى الله عليه وسلم: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم} .^٨

هكذا يا معشر الإخوة! رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزهد في الدنيا والرغبة في الأخرى، فتركهم من بعده جبلاً شماً، كل يسير مفرداً كأمة.

هادر كالأسد الزائر مرغ مزبذ هب ملتهم محتدم متقد

والله لأن تؤخذ المدينة، فتوضع في حلق أحدهم لتنفذ من الجانب الآخر؛ أهون عنده من أن تكون الدنيا مقدّمة على الآخرة، وهي عند الله أهون من جناح بعوضة. وحاله:

لا أشرب إلى ما لم يكن طمعاً ولا أبيت على ما فات حسرانا

ليس الوقوف على الأبواب من خلقي ولا التمسح بالأعتاب من عملي



أبو عقيل الأنصاري وإيثاره الآخرة على الدنيا

لما كان يوم اليمامة ، واصطف الناس ، وبدأ القتال ، رُمي أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه بسهم فوق بين منكبه وفؤاده في غير مقتل ، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر ، وجُرَّ إلى الرَّحْلِ ، ولما حمي القتال وانهزم المسلمون في أول المعركة ، وهو واهن من جرحه ، سمع **معن بن عدي** يصيح : **[يا للأنصار، الله.. الله.. والكرة على عدوكم، يقول ابن عمر رضي الله عنهم: فنهض أبو عقيل يريد قومة، فقلت: ما تريد.. ما فيك قتال؟! قال: قد نوّه المنادي باسمي يا ابن عمر ، فقال ابن عمر : إنما يقول: يا للأنصار! ولا يعني: الجرحى، فقال أبو عقيل : لقد نوّه المنادي باسمي وأنا من الأنصار، ولا والله الذي لا إله إلا هو لأجيبه ولو حبواً ...]** ^ .

إن الطيور وإن قصصت جناحتها سمو بفطرتها إلى الطيران

يقول **ابن عمر** : **[... فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف باليمين، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرة كيوم حنين.. كرة كيوم حنين، يا خيل الله اثبتى، وبالجنة أبشري ...]** ^ .

يتقدم الصفوف محرضاً والحرب تقذف تياراً بتيارٍ

كالماء أعذب ما يكون وإنه لأشد ما يصبو على النيران

يقول **ابن عمر** : **[... فنظرت إليه وقد قطعت يده المجروحة من المنكب ووقعت على الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها خلصت إلى مقتل، وهو صريع في آخر رمق، وقد هزم الله عدوه ونصر جنده، فوقفْتُ عليه، وقلت: **أبا عقيل** فقال بلسانٍ ملثاث: لبيك! لمن العاقبة؟ قلت: أبشر قد قُتِلَ عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء بحمد الله، ثم لقي الله ...]** ^ .

صامتاً ليس يطيل الكَلِمَا وهو بالصمت يربي الأئمة

فلولا احتقار الأسد شبهتها به ولكنها معدودة في البهائم

ما كان للزهرات لولا أنها هتكت حجاب الكُم أن تتوردا

قد قيدوك فما أطقت قيودهم والحر يأبى أن يعيش مقيدا

علم أن الدنيا بأسرها قليلة، وبقائها من أولها إلى آخرها قليل، ونصيبه من هذا القليل قليل، ورأى غيره يبذل روحه ليظفر بقدر قليل من هذا القليل في بقاء قليل، فبذل أعز ما يبذله.. نفسه، وحاله: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]^ .

لم يدخر نفساً ولا مالاً وقد باعهما لله والله اشترى

ما ضره ما أصابه يوم يجبر الله مصيبتة بالجنة بمنه!

فبعد هذا الظل يا بلبل ماء وهو

وجنة أخرى يطيب — سب في رياضها الحيا

بمذه الموازين خرجوا من الجزيرة ليبلغوا رسالة الله، وليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام — على حد قول ربي رضي الله عنه — فواجهوا حضارات مادية رقت حواشيها، وطالت ذيوها، وبلغت في البذخ درجة الخيال.

كان أحدهم إذا انتطق بمنطقة قيمتها دون مائة ألف درهم يعير ويزدرى ويحتقر، وتتفاداه العيون، ويتوارى من القوم، كما يقول الندوي .

واجه الصحابة هذا كله فركلوه بأقدامهم، ما هو عندهم بشيء، إذ هم في سجن الدنيا لما

ينتظرونه عند الله من الكرامة، رأوا خبزاً رقيقاً لم يروا مثله في الرقة، فحسبوه منادياً، فأخذوه في أيديهم فإذا هي أرغفة، ما كانوا يظنون أن الخبز يكون في هذه الدرجة من الرقة والأناقة.

لا يشتهي أحدهم ما لا يجد، وإذا وجد لا يجعله غاية الجد والكد، يتسامون على المظاهر الجوفاء، ويترفعون عن الأخلاق الشوهاء، واعتزازهم بالله رب الأرض والسماء.

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها وسروا فما حنوا إلى نعمان

ساروا رويداً ثم جاءوا أولاً سير الدليل يوم بالركبان

[أعلى الصفحة](#)



حَقارة الدنيا عند عبادة بن الصامت

معشر الإخوة: إليكم صورة للمواجهة بين أهل الدنيا وأهل الآخرة؛ حُسمت فيها النتيجة لحزب الله أهل الآخرة قبل المواجهة المسلحة.

فلكل راضٍ بالهوان قرارة يحتلها ولكل راق سُلّم

لما وصل عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر، بعث إلى المقوقس حاكم مصر عشرة رجال على رأسهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وجعله متكلم الوفد، وكان عبادة شديد السواد، مفرط الطول مهاباً، فلما دخلت رسل المسلمين على المقوقس هابهم، وقال: **[[نحوا عني ذلك الأسود وقدموا غيره ليكلمني، فقال الوفد: إن هذا أفضلنا رأياً وعلماً، مقدّم علينا، نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، أمره الأمير علينا وأمرنا ألا نخالفه، وإن الأسود والأبيض عندنا سواء، لا يفضل أحداً أحداً إلا بدينه وتقواه، فأوماً إلى عبادة أن يتكلم في رفق حتى لا يزعجه، فقال عبادة: إن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي، وأشد وأفظع سواداً مني، لو رأيتمهم كنت أهيب لهم مني، ولقد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك -بحمد الله- ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً، وأصحابي هم هم، رغبنا وهمتنا الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، والله ما يبالي أحدنا أكان له قناطير الذهب أم كان لا يملك إلا الدرهم، نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاؤها ما هو برحاء، بذلك أمرنا الله وعهد إلينا نبينا، تقضى زمن الحل وهذا زمن العقد]]**^.

بعض المواقف يا رجال حرائرُ والبعض يا بن الأكرمين إماءُ

وقع الكلام منه موقعاً عظيماً، فقال لأصحابه: هل سمعتم مثل كلام هذا قط؟! لقد هبتُ منظره..
وإن قوله لأهيب عندي من منظره، وما أظن ملكهم إلا سيغلب الأرض كلها.

نعم:

كلماتهم قُضِبُ وهن فواصلُ كل الضرائب تحتهن مفاصلُ

إنما الألفاظ نطقٌ ورسومٌ والمعاني روح هاتيك الجسومُ

ثم أقبل على عبادة ليسلك معه طريق الإرهاب في قالب النصيح، فيقول: قد سمعتُ مقالتك،
ولعمري إنكم ما ظهرتم على من ظهرتم إلا بحب الدنيا، ولقد توجه لقتالكم ما لا يحصى عدده من
الروم ما يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم، فنفرض لكل رجل
منكم دينارين، ولأميركم مائة، وخليفتكم ألفاً، خذوها وانقلبوا إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا
قوة لكم به.

عجباً له من أسلوب شفقة الضرة على الضرة، إنه ليعلم أنهم ليسوا بطلاب دنيا، ولكنها محاولة
رجل يائس أراد أن يصنع شيئاً يُعَدَّر به أمام قومه.

يحاول الأقزام دائماً -معشر الإخوة- أن يستزلوا العظماء من عليائهم ليشاركوهم تديني
أفكارهم.. إنه يعرض هذه المساومة وهو يدرك ويعترف أن المسلمين بلغوا منزلة تخولهم ملك
الأرض كلها، ومع ذا يعرض عروضه المتدنية على قوم حالهم:

اشترانا منا فقلنا ربنا لا نقيل يا رب ولا نستقيلُ

لكن:

ومن يكُ أعوراً والقلب أعمى فكل الخلق في عينيه عورُ

هذا! لا يغرنك من حولك.. لا تغرنك نفسك.. لا يغرنك أصحابك، لعمر الله! ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا والله ما هذا بالذي يردنا عما نحن فيه، ولئن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوان الله وجنته، والله ما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من أن نقتل لتعلو كلمة الله، والله ما منا رجل إلا وهو يدعو الله صباح مساء أن يرزقه الشهادة في سبيله، وألا يرده إلى أرضه ولا إلى أهله إلا بنصر المسلمين، فانظر فليست إلا خصلة من ثلاث، اختر أيها شئت، ولا تطمع نفسك في باطل، بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا، هذا ديننا الذي ندين الله به، فانظروا لأنفسكم]][^].

فليس الليث من جوع يقادُ إلى جيف تحيط بها كلابُ

أبقى في الحياة بلا لسانٍ وقد نطقت بحاجتها الحميرُ

قال **المقوقس** : أفلا تجيبون إلى خصلة غير هؤلاء الثلاث؟ فوقع قول **المقوقس** على آذان صماء من **عبادة** ، ورفع يديه يشير إلى السماء مرة ويخفضها إلى الأرض أخرى.

ويبعثها حرة لا تضيقُ بكيد العواذل واللوم

يقول: **]]لا ورب هذه السماء، لا ورب هذه الأرض، لا ورب كل شيء، ما لكم عندنا من خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم]][^].**

نحن نهدى الخلق زهراً وثماراً وسوانا يبعث النار ضراما

كل نمرود إذا أوقد ناراً عادت النيران برداً وسلاما

عندها أذعن وبدأ يشاور أصحابه، فامتنعوا عن الإسلام، ثم امتنعوا عن الجزية، وقالوا: لئن دفعناها لم نعد أن نكون لهم عبيداً، وللموت خير من هذا، فقال **المقوقس** : أجيبي وأطيعوا القول، والله ما لكم بهم من طاقة، وإن لم تجيبوهم طائعين لتجيبيهم إلى ما هو أعظم منها مكرهين، فأبوا وامتنعوا، فاقتحم المسلمون عليهم أحد حصونهم في هيمنة تكبير ارتجت لها الأرض معلنة: ألا كبرياء في الأرض إلا وكسرت شوكتها، وقلبت ظهرها لبطن، ولم يبق إلا كبرياء الله.

أدت رسالتها المنابرُ وانبرى حد السلاح بدوره ليقولا

آن الأوان لأن نخاطر بالدم من لم يخاطر بالدم لم يسلم

ففتح حصنهم، وكسرت شوكتهم، ودلوا، فلام **المقوقس** قومه، وقال: ألم أخبركم؟! أما والذي
يُحلف به لتجيئهم إلى ما أرادوا، فلو أن هؤلاء القوم استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على
قتالهم أحد، أطيعوني..

فأذعنوا.. ودلوا.. وخنعوا.. ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

فيا ناشد الحق في مجامع المبطلين! لا رد الله ضالتك، أتطلب الفص من اللص، وتقيس في مورد
النص.

يا قوم كفوا عن الشكوى لذي صمم لا يُسمع الصم إلا الصارم الذكر

لقد كان ذلك الجليل محتفظاً بشخصيته المتميزة القوية إزاء تلك الحضارات المادية الدنيوية في تلك
المعارك السقيطة، ما فقدوا شيئاً من مبادئهم وقيمهم، عبروا دجلة المادية، وقرات البهرج، فلم
تبتل ذيوهم فيها؛ لأنهم عبروها بإيمان بالله عميق، وموازين دقيقة، وقيم أهلهم للعزة والقيادة،
والسمو والريادة، فانتزعوا عجلة القيادة من القيم الهابطة، والمفاهيم والعقائد الفاسدة، والمثل
المفترنة؛ لأن المواجهة كانت بين القيم والمفاهيم، والمألوف أن تسري سنة الله.. أن البقاء
للأصلح: ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَابَ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]^.

[أعلى الصفحة](#)



الجيل الحاضر.. واغتراره بالدنيا

معشر الإخوة: ولما التفتت الأمة إلى غير تلك القيم ولم تزن الدنيا بميزانها الحق؛ رفعت الطين، ووضعت الدين، فقدت وهي على البر هويتها ومقوماتها، فإذا عموم أبنائها دون آحادهم عقولاً في طلب الدنيا، بلُّه عما خلقوا له، طلاب أمانٍ، دين أحدهم لعقة على لسانه، عن الباقي مصروف، وبالفاقي مشغوف، بالخوف من كل شيء إلا من مولاه معروف.. بالخزي محفوف، محب للدنيا.. كاره للموت، من خوف الموت بالموت وأشد من الموت.. يعتبر الدنيا رأس ماله، ومنتهى آماله، يود لو يعمر ألف سنة حتى إذا جاءه الموت خرج من الدنيا وهو حزين متلهف على ما يفارقه، كاره مستبشع ما يستقبله.. غثاء هباء، لا ينفع ولا يدفع ولا يرفع ولا يصنع ولا يشفع.

إنما تلك مسوخ ورثت نسبة الإسلام عن أم وحد

وعندها:

تشابهت البهائم والعبيداً علينا والموالي والصميم

أولئك الجيل فهموا الإسلام فهماً دقيقاً، فساروا بمفتاح السمو يفتحون المشارق والمغرب، لا يستعصي عليهم قُطر، ولا يستعصي عليهم مصر.. الحصون تُفْتَح، والقلوب تُفْتَح، والقيم الصحيحة تسود، والموازن تُصَحِّح، فكانوا السماء.

ولما تخلفت هذه المفاهيم عند من بعدهم أصيبوا بمركبّ النقص، فكانوا السماوة.

وشتان ما بين السماوة والسماء.

ألا إن من السخافة أن يقال: إن السماوة والسماء واحد؛ لأن النسبة إليهما في اللغة واحدة (سماوي) لا يقول به إلا غبي أو صبي أو عقل وراءه حبي.

من رام شهيداً فإن النحل مصدره ومن بغى السم فليطلب له الرقطا

سر السمو إلى السماء لذلك الجيل؛ هو تحررهم من كل سلطان سوى سلطان الله، يعدلون بعذل الله، ويزنون بميزان الله، ويعملون على اسم الله لا سواه.. يوالون الله ويعادون أعداء الله.. رقابة

الله كمنت في ضمائرهم، والطمع في رضا الله والخوف منه أغناهم عن رقابة البشر وعقوبتهم،
فصار المسلم حقاً هو الأعلى.

يقف موقف المجرد من كل قوة مادية، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى، يتداعى عليه الأعداء وهو
كالطود ثابتاً لا يتزعزع، وهبها كانت القاضية.. فماذا يصير؟

الناس يموتون وهو ورهطه يستشهدون، فيغادرون الأرض إلى رحمة الله حين يغادرها غيرهم إلى
غضب الله.

هو الأعلى..

من الله يتلقى، وإليه يرجع، وعلى منهجه يسير.. يسود مجتمعه عقائد باطلة مغايرة لما هو عليه،
فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى.

يضج الباطل ويرفع عقيرته التي قد تعشى معها الأبصار، وتغشى البصائر، فلا يفارقه الشعور رغم
الضحج.. لأنه الأعلى.

يغرق المجتمع في شهواته، ويمضي مع نزواته إلى الوحل والطين، فينظر من أفضه العالي إلى الغارقين
في الوحل.. اللاصقين بالطين، وهو مفرد وحيد، فلا تراوده نفسه على خلع رداءه الطاهر،
والانغماس معهم في الوحل.. لأنه الأعلى بلذة الإيمان والتقوى.

يقف قابضاً على دينه كالقابض على الجمر، في مجتمع شارذ عن القيم والدين، وهم يهزءون به
ويستخرون، فيقول بقول من سبقه في موكب الإيمان العريق، والطريق الطويل: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا
فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]^ ويتلمح نهاية الموكب الفائز الوضيء، ونهاية
القافلة البائسة في قول الله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ
يَصْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]^ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]^ ﴿هَلْ تُؤْتِبَ الْكُفَّارُ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]^.

بهذا الشعور، وبتلك القيم.. ارتقت الأمة في نظامها وأخلاقها وحياتها وكل شئونها إلى قمة سامية
سامقة، لم ترتفع إليها من قبل قط، ولم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل منهاج ذلك الجيل.

فانفض فقد طلع الصباحُ ولاح محمر الأحييمُ

وشتان ما بين السماء والسماوة

أعلى الصفحة

عزة وشجاعة الجيل الأول

.....



عزة يزيد بن معاوية أمام قيصر

هاهو جيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأرضاه بقيادة ابنه يزيد يقف على أطراف القسطنطينية قريباً من أسوارها - جيشٌ مغفور له كما ثبت في صحيح البخاري - وفي الجيش بعض أفراد ذلك الجيل على رأسهم: أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه، حل به مَرَضٌ - مَرَضٌ مرضاً شديداً - فأتاه يزيد ليعوده، ويقول له: **[[ما حاجتكأبا أيوب ؟ قال: ادفني عند أسوار القسطنطينية ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {يدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح} ^** وإني لأرجو الله أن أكون أنا هو.

إن النفوس إذا سمت وتهذبت وتوجهت تعلقو إلى جناحتها

جاءته المنية هناك، ما ضيع وما قصر وما فرط رضي الله عنه وأرضاه.. القتال دائر، ويأمر يزيد بتكفينه، فيحمل على السرير.. تخرج به الكتائب لتنفيذ وصيته، ويدفن عند الأسوار تحت سنابك الخيل، ينظر قيصرهم إلى سريره يُحْمَل تحت ظلال السيوف، فيرسل قيصر إلى يزيد : ما هذا الذي أرى؟ فيقول يزيد : **[[هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سألنا أن نقدمه في بلادك، ونحن والله الذي لا إله إلا هو منفذون وصيته أو نهلك جميعاً ونلحق بالله]]** ^.

فيا لله!

إن لم يكن في حياة المرء من شرفٍ فإنه بالردى قد تشرف الرممُ

قال: عجباً! أين دهاؤك؟! وأين دهاء أبيك الذي يُنسب له؟! يرسلك أبوك فتأتي بصاحب نبيك - ونقول: صلى الله عليه وسلم - وتدفعه في بلادنا حتى إذا ما وليت أخرجناه للكلاب؟!!

فقال يزيد في سمو وسماء وعزة: **[[إنك كافر بالذي أكرمت هذا له، وإني والله ما أردت إيداعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم، والله الذي لا إله إلا هو من أكرمتُ صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم له، لئن بلغني أنه نُبِش قبره، أو مثل به، لا تركتُ في الأرض الإسلام نصرانياً إلا قتلته، ولا كنيسة إلا هدمتها]]**.[^]

جعل الخطام بأنف كل مخالفٍ حتى استقام له الذي لم يُخَطِّم

فقال: **لله أنت، أبوك كان أعلم بك، فوحد المسيح لأحفظنه بيدي إن لم أجد من يحفظه.**

ولا عجب! فالحق قد أجاب، والذل قد وجب.

وموجة النهر في عين الجبان بما غول وحوث وتنين وتمساحُ

وشتان ما بين السماء والسماء!

وتبقى الآحاد والفئات ممن استقت من ذلك النبع الصافي على تلك العزة في كل آن، محلقة سامية للسماء ناطقة تقول:

ومن لم يقومْ بهدي الكتاب فبالسيف يا صحابي قُمْ



عزة أبي يوسف المراكشي أمام ملك كستانة

يكتب ملك كستانة في أواخر القرن السادس إلى السلطان المسلم أبي يوسف المراكشي يهدده ويعنفه، ويطلب منه تسليم بعض بلاد المسلمين، وكان فيما قال في غطرسة وكبرياء: أراك تماطل نفسك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فما أدري الجبن بطاً بك، أم التكذيب بما وعدك نبيك.

فلما قرأ أبو يوسف الكتاب تنمّر، وغضب، وتربد وجهه، وأرغى وأزبد، ثم مزقه وكتب على رقعة منه بقلم.. يفتك الشعور ويفلق الصخور: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧] ^ الجواب ما ترى لا ما تسمع.

فلا كتب إلا المشرفية عندنا ولا رسل إلا للخميس العرمرم

وقام قيام الليث فار غليله وقد برزت أنيابه ومخالبه

استنفر الناس، ودعا للجهاد، ورجب في السعادة، وحاله:

أججوها حمما وابعثوها حمما

قربوا مني القنا قد كسرت القلما

دوت بكل قبيلة ومحلة صيحاته فتجاوبت أصدائها

سارع مائة ألف مسلم متطوع للبذل والتضحية، والذب عن بيضة المسلمين، وإعزاز دين رب العالمين؛ لينضموا إلى الجيش الذي يبلغ مائة ألف من الموحدين، حال الواحد منهم:

ارم بي كل عدو فأنا السهم السريع

وإلا:

فلا نعمت نفس ولا أفلح امرؤٌ ولا انحال هطال ولا لاح مشرقٌ

مضى الليث إلى [الأندلس](#) بجيش يؤمن بالله، ويستقي من نبع وحي الله.. شعاره: تكبير الله، وهذا ما وعدنا الله، وصدق الله، وحسبنا الله.

فكانت الملحمة التي تنزل معها نصر الله على حزب الله، فقتلوا من العدو مائة وستة وأربعين ألف قتيل، وأسروا من أسروا نصراً من الله، وحققت كلمة الله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]^.

معشر الإخوة والبنين! والله ما قام عبدٌ بالحق وكان قيامه لله وبالله إلا لم يقم له شيء، ولو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له منها فرجاً ومخرجاً، وإنما يؤتى من تفريطه وتقصيره.

فاعلم أيها السامي للسماء:

مَنْ يخف سلطان ذي العرش المجيدُ خافه كل قريبٍ وبعيدٍ

فما رميت ولكن الإله رمى فكيف يُهزم من بالله ينتصرُ

والله أكبر صوتٌ تقشعر له شمُّ الذرى وتكاد الأرض تنفطرُ

معشر الإخوة! نصر الله ذلك الجيل، لأنه أخذ بمقومات النصر، استقى من نبع الوحي، وطبق ونفذ، وتميز وفاصل، وضحي بالزائل، فكانوا السماء بحق، صدور محافل، وقادة جحافل، يقذفون بكلمة الحق مجلجلة على الباطل، فإذا الحق ظاهر، والباطل زاهق نافر، يقذفون بعزائمهم فإذا الكفر مكسور، والإيمان منصور.

إن تلك المقومات للسمو إلى السماء لم تبل ولم تمت؛ إنما هي كامنة، وتلك الشعل لم تنطفئ فهي

في كنف القرآن والسنة آمنة، فلا يزال الله يغرس غرساً يستعملهم في طاعته إلى يوم القيامة، إنهم من كانوا على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكن أو لا تكون:

ومن يجد تريباً وماء غرساً وبذل المال وحاط الأنفسا

فبادر أخياً لرفع اللواء على كل قطع ولا تحجم

وزف هدى الله للعالمين بآيات قرآنك المحكم

سماً سماءً بوحى الإله وجاهد وصابر ولا تسأم

نصائح وتوجيهات إلى أفراد جيل هذا الزمان

أيها الجيل: الفرد في هذا الزمان أشد حاجة لليقظة والانتباه مما كان عليه أسلافه المسلمون في العصور الماضية، لقد كان أسلافه يعيشون في وسط إسلامي تسوده الفضائل، ويعمه التواصي بالحق.. الرذائل فيه تتوارى عن أعين العلماء وسيوف الأمراء، أما اليوم فإن المدينة السلفية الحديثة قد جعلت كفر جميع مذاهب الكفار، وشهواتهم وشبهاتهم، مسموعةً مُبصرةً مزخرفةً عن طريق الإذاعات والشبكات، والصحف والقنوات، تتسلق وتتسلل إلى أعماق القلوب الجوفاء والبيوتات، وترفع عقيرتها: إني إلي! فعندي الفقه الطيب، تعني: فقه الإرجاء والتسيب، وينعق فيها الرويبضات التافهون في أمر العامة صارخين:

العلم ما ينقله الإعلامُ وليس ما يبثه الإسلامُ

والحق ما تطلقه الأبواقُ وليس ما تثبته الأخلاقُ

قد طوروا الخطاب للصحارِ باللحن والغري وبالصحارِ

خابوا فهم حثالة الأنسالِ وعُصبة الفساق والأنسالِ

رهط الخنا والغني والمحالِ من كل عبي ماذق تنبالِ

محارب لله لا يبالِ كأنما صيغوا من الأوحالِ

أو من رجيع الحمر والبيغالِ

لكن:

لكن ومهما نعقوا ومخرقوا عليهم ألف دليل ينطق

فانشر كنانتك أيها الجيل الراشد، والزم نبعك الصافي وتميزك ومفاصلتك، وسدد سهامك، وأشرع رماحك، وأعدّد عدتك؛ فإن لم تجد فيها سلاح الحديد والنار فلن تراع.. معك السلاح الذي يفيل

معك المسن الذي يشحد هذين؛ وهو التقوى والصبر، فلن تضر.

فوالذي أكرمك بالإسلام.. إنهم ما قاتلوك بالحديد إلا ما يوازي ساعة من نهار؛ لكنهم قاتلوك في الوقت كله بما هو أعظم من الحديد.. قاتلوك: بالكتاب الذي يزرع الشك.. بالظن الذي يمرض اليقين.. بالصحيفة التي تنشر الرذيلة.. بالقلم الذي يشيع الفاحشة.. بالمثلة التي تظهر الفجور.. بالراقصة التي تغري بالتأنت الصخور.. بالمهازل التي تقتل الجد.. بالخمير والمخدر الذي يهدم البدن والعقل والمال والدين.. بمعلم وعالم السوء الذي يفسد الفكر، وينقل الناس من الشهوة على وجل إلى الشبهة بلا وجل ولا خجل.. بالكماليات التي تثقل الحياة.. بالعادات التي تناقض فطرة الله.

فإن شئت أيها الجيل أن تذيب هذه الأسلحة كلها في أيدي أصحابها، فما آمرك إلا واحدة أن تعلنها قولاً وعملاً: ﴿ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ^٨ ثم تصوم عن هذه المطاعم والمشارب والمنابع النتنة كلها، وتغمض عينيك على الدواء بكتاب الله يعمل، ثم تفتحها لرؤية الحق والهدى تبصر.

دع عنك ما يقوله المسوخُ فما لهم في شرفِ رسوخُ

إن القوم تجار سوء.. قاطعهم تنتصر عليهم.. قابل أسلحتهم كلها بسلاح واحد، وهو: التعفف والإعراض عن هذه الأسلحة كلها؛ فإذا أيقنوا ألا حاجة لك بهم.. آمنوا أنهم لا حاجة لهم فيك، ثم انصرفوا صرف الله كيدهم كما صرف قلوبهم.

ماذا يصنع المرابي في بلدة لا يجد فيها من يتعامل بالربا؟!

وليس يجهل ما ينوي الخصوم لنا إلا الجواميس أو شبه الجواميس

السوس منا فلا تطعن على أحد من الخصوم وعالج مصدر السوس

يا سامياً للسماء: لا يجالذك شك في أن وعد الله بالنصر واقع قاطع جازم ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: ٥١] ^٨ وكلمة الله قائمة سابقة ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴿ [الصافات: ١٧١-١٧٣] ^٨ هذه حقيقة ثابتة مهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار وحرب الأفكار، إن هي إلا معارك تتنوع نتائجها، ثم تنتهي إلى

الليل والنهار؛ لكنها مرهونة بتقدير الله يحققها حين يشاء لحكمة، فلا تيأس.. وابحث عن أسباب تخلف النصر، فلعله من تفريط أو تقصير، فراجع نفسك وإلا.. فالسماوة.

يا سامياً للسما: الطائر بجناح مستعار لا شك أنه ساقط.. واقع.. منحل.. معتل.. مختل، فحلقت بجناحك، والنبع الصافي زادك مخلصاً متبعاً.. مطبقاً.. متميزاً.. مفصلاً، وإلا.. فالسماوة.

يكفي الصياح فما الحياة عبارة خوفاء فارغة يرددها الفم

الحزم الحزم.. والقول والعمل..! لا تكن كالدفتري يحكي ما قال الرجال وما فعلوا دون أن يضرب معهم في الصالحات بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب، وإلا.. فالسماوة.

يا سامياً للسما: كائر الضالين بالمهتدين، وارم البطانة الفجرة بالعجاف البررة.. ارم الخبيث بالطيب، والدرن بالصيب، وإلا فالسماوة.

يا سامياً للسما: قد عرفتَ وُجْهَتَكَ فابدأ المسير، هطيل المزن أوله قطرة، وعصف الريح مبدؤه نسفة، وصادق الوحي مبدؤه رؤيا منام، فابث أسرارك، وانشر أخبارك، واتكل على مولاك.. الاتكال على الضعيف ضعف، والاتكال على القوي قوة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كن مع الله ولا ترج العلاء من سعي

احفظن مصحفك الغالي وباسم الله صابراً

يا سامياً للسما: مَنْ هياً الله له وسائل السبق فلم يسبق فهو محروم، وقد هُيئتَ فاغنمها تمحُ آية البؤس في بيداء السماوة، وتجعل آية النعيم في سمائك مبصرة.

وشتان ما بين السماء والسماوة!

يا سامياً للسما: أسرج كُمَيْتِكَ، واجرر زمامك على المرعى يقف بك.. ارقب الفجر ما هو بعيد عنك.. عباً من النبع الصافي وتنقل به للمراقبي.. جاهد نفسك على ذلك، فالجاهدة حرب لا يصلح لها إلا بطل.

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

مرعى المشتهى هشيم.. ليل الجهل معتم.. جو الهوى مقفر.. روض اللهو وبي.. غدير اللذات
غدر.. مجاهدة النفس شقة.

موت النفوس حياتها من شاء أن يجيا بموت

يا سامياً للسماء: قد نثر الدر لديك فانتق، وقربت لك المراقى فارتق.. انزل الوادي يصوت بك
الحادي.

ونكتة المسألة، ومدار المحاضرة: تجريد التوحيد لله لا يقوم له شيء البتة، وصاحبه مؤيد منصور، هذا
بيان مجمل للسر بلا تعليق، واسألوا أهل النحو أيهما أفصح: الإلغاء أم التعليق؟

يغنيك إجمال قولي عن مفصله في ذكرك البحر معنى تحت الدرر

وشتان ما بين السماء والسماء!

وحدوا صفوفكم، واجمعوا رأيكم وكلمتكم، والهدوء... الهدوء! والصبر... الصبر، ليس الشديد
بالصرعة..

هونوا واتدوا

وأبشروا وأملوا

ما كل عادٍ يسبق

لأمة الإسلام من في السماء.

ولدين الله من في السماء.

وملة الإسلام من في السماء.

فالدعاء... الدعاء، ليس شيء أكرم من الدعاء، أعجز الناس من عجز عن الدعاء: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ
قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]^.. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]^.

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك .. سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أو علمته أحداً من خلقك، ونسألك باسمك الأعظم الذي سئلت به أعطيت، وإذا دعيت به أجبت، وإذا استغثت به أغثت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت .

يا من لا يهزم جنده، ولا يغلب أولياؤه، نسألك أن تعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين.

اللهم ارفع علم الجهاد.. اللهم ارفع علم الجهاد، اللهم اقمع أهل الكفر والزيغ والفساد والنفاق والعدا.

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، أرنا في أعداء الدين عجائب قدرتك.

اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك.

اللهم إنهم لا يعجزونك.

اللهم أنزل عليهم بأسك ورجزك وغضبك.

اللهم لا ترفع لهم راية، اللهم اجعلهم لمن خلفهم آية.

اللهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، وزلزل أقدامهم، ورد كيدهم.

اللهم إنا ندرء بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم من أردنا أو أراد الإسلام بسوء فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره، يا قوي يا عزيز.. يا قوي يا عزيز.. يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

اللهم كن للمسلمين المستضعفين المظلومين المقهورين في العالمين.. اللهم كن للمسلمين المستضعفين المقهورين المظلومين في العالمين.

اللهم كن لهم في فلسطين و أفغانستان و كشمير و الشيشان ، وجميع العالمين.

اللهم أزل عنهم العنا، اللهم أزل عنهم العنا.

اللهم اكشف عنهم الضر والبلاء.

اللهم أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء، يا سميع الدعاء.

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠]^ .

اللهم أنت حسبنا ومن كنت حسبه فقد كفيته، حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.....